

مفاهيم القرآن

(417) قليلاً ، فكانوا يتفلسفون ، فإنّ حصل نصر قالوا : هو من عند الله ، وإن كانت هزيمة قالوا إنّ سوء القيادة هو سبب الهزيمة . وبعبارة أخرى قد كان المنافقون - لجهلهم بمعارف الكتاب العزيز - يعدون الطفر والغلبة في الحروب كحرب بدر - مثلاً - من الله ، والانكسار والهزيمة كحرب أحد من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - . ولم يكن هذا النوع من التفسير بجديد ، فقد سبقهم في ذلك أعداء موسى ، فقد كان منطقهم ، على شكل آخر ، فكانوا ينسبون الحسنة إلى أنفسهم والسيئة إلى موسى ومن معه . فإذا واجهوا نعمة كانوا يرون أنّ ذلك نتيجة صلاحيتهم ، وإذا واجهوا نقمة أو بلاء تشاءموا بموسى عليه السلام وتطيّروا به ، واعتبروا وجوده ووجود جماعته المؤمنين سبباً لنزول ذلك البلاء ، كما يقول سبحانه : (فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَئِنَّا هِذِهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ) . (1) ولكنّ القرآن الكريم يواجه هذا الزعم الأعوج الذي تنسب فيه "الحسنات" تارة إلى الله و "السيئات" إلى النبي وأخرى تنسب الحسنات إلى أنفسهم ، والسيئات إلى موسى - عليه السلام - ، فكان هناك مؤثرين مستقلين في عالم الكون ، لكل واحد منهما خالق خاص ينافي الآخر ويقول في قبال هذا المنطق : (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) . لأنّه ليس للعالم - بحكم التوحيد في الخالقية - إلاّ خالق واحد لا أكثر ، _____ 1 . الأعراف: 131 .